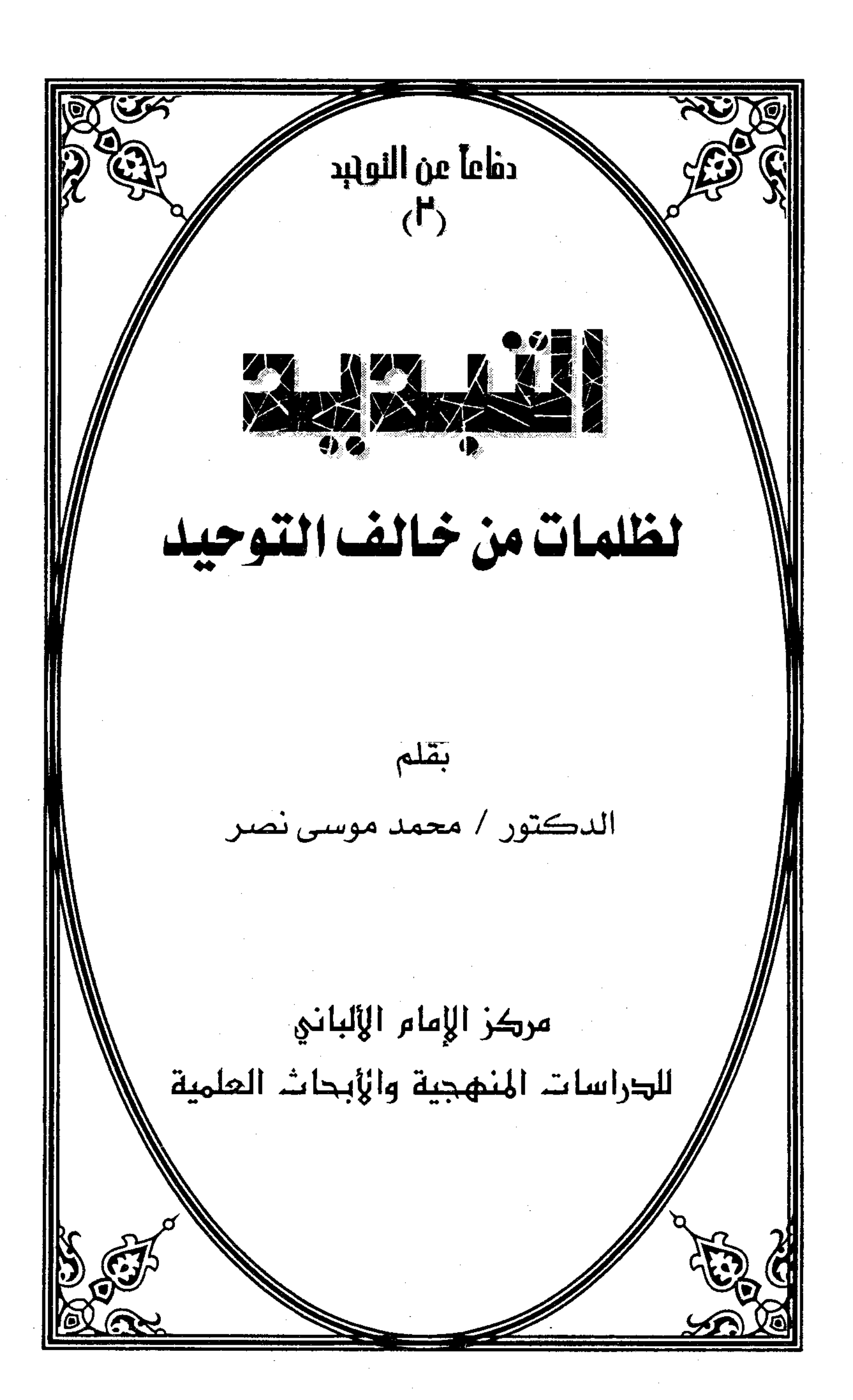


دفاعاً عن التوحيد
(٢)

التبديد

لظلمات من خالف التوحيد

بقلم

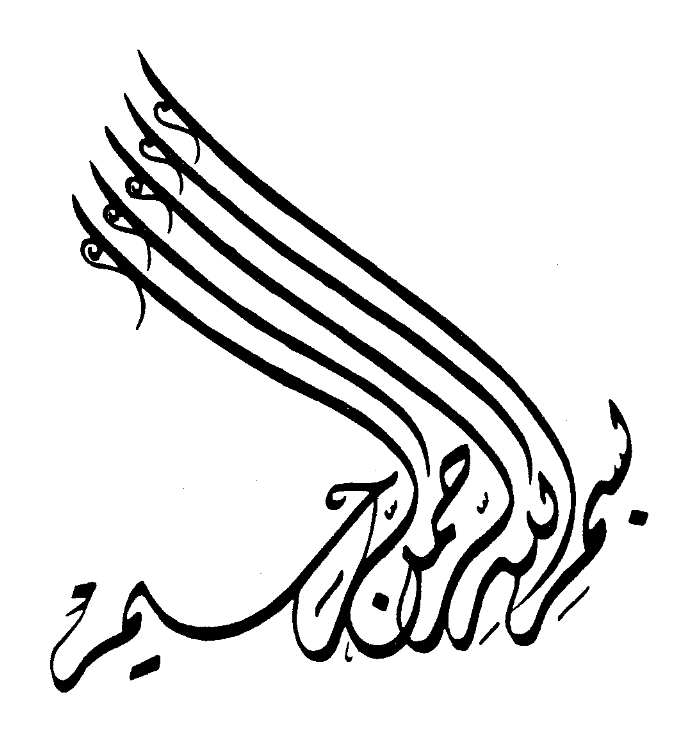
الدكتور / محمد موسى نصر

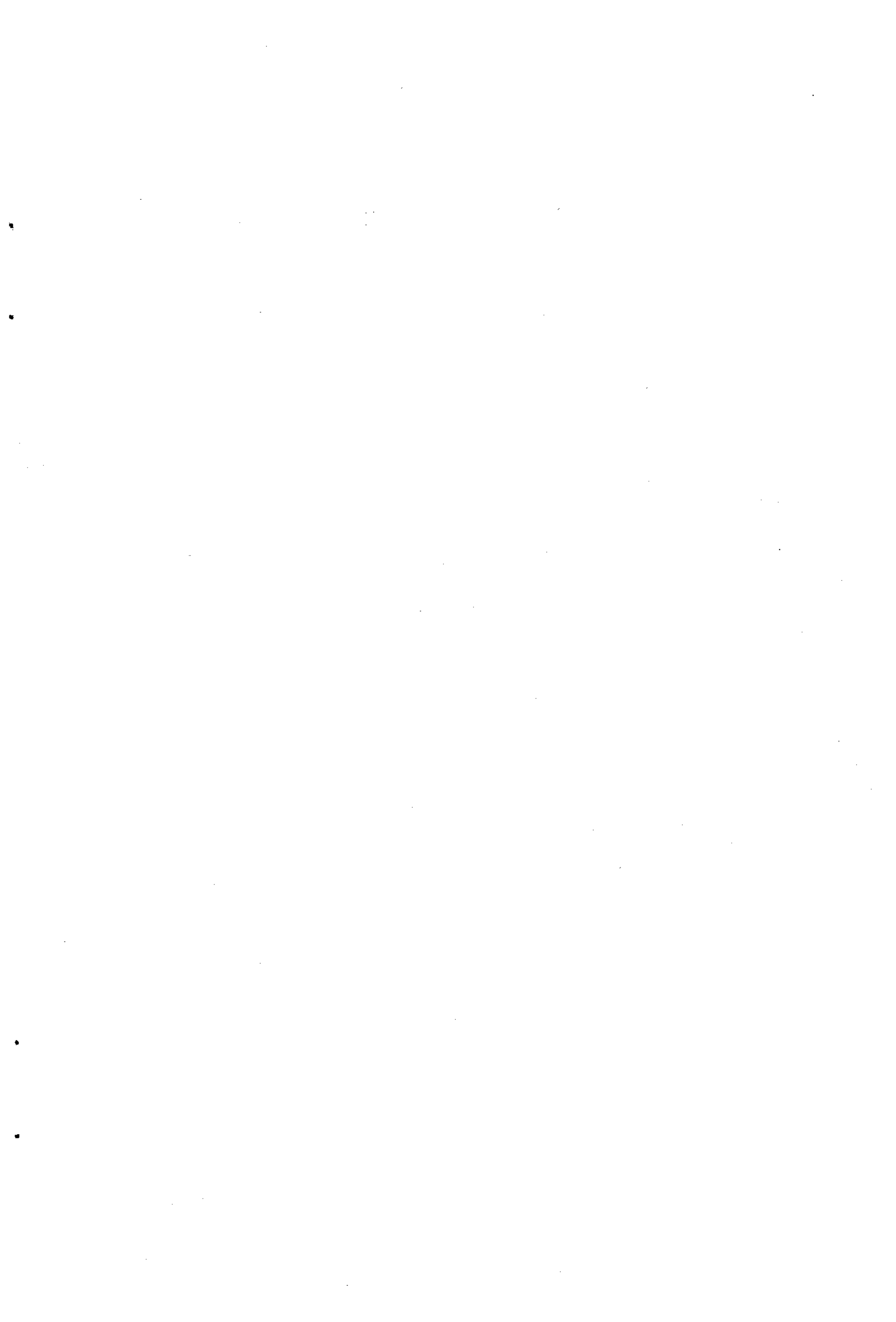
مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م


بسم الله الرحمن الرحيم



المقـــدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،

وكل ضلالة في النار .

بينما كنت أقلب صفحات مجلة « هدي الإسلام » ، العدد التاسع من المجلد التاسع والعشرين لعام (١٤٠٥هـ) الموافق (١٩٨٥م) إذ وقع نظري على مقال قديم للأستاذ أكرم زعيتر ، كتبه عام (١٣٨١هـ) وهو بعنوان : « سيدي أبا القاسم » .

وقد أفزعني وأثار دهشتي وحيرتي ، تِلكُم العبارات التي فاض بها قلمه في مناجاته النبي ﷺ ، حيث غلا في النبي ﷺ فوصفه بصفات لا تليق إلا برب العالمين ، فبلغ في غلوّه حداً أخرجه فيه عن صفات البشر ، مع أن النبي ﷺ حذَّر من إطرائه ، والغلوِّ فيه ، فقال ﷺ : « لا تُطروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريم ، فإنّما أنا عبدُ الله ، فقولوا : عبدُ الله ورسوله »[١] .

وسَمِعَ ﷺ رجلاً يقول : ما شاء الله وشئت يا رسول الله ، فقال ﷺ : « أجعلتني لله ندّاً ، قل : ما شاء الله وحدَه »[٢] .

وسمعَ جارية تضربُ بِدُفٍّ تنشد وتقول : وفينا نبيٌّ يعلمُ ما في غدٍ . فقال عليه الصلاة والسلام : « دعي الذي تقولين وقولي بما

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » ، وابن ماجه ، والطحاوي ، والبيهقي ، وأحمد . وانظر : « سلسلة الأحاديث الصحيحة » الألباني (رقم : ١٣٩) .

كنت تقولين من قبلُ ، لا يعلمُ الغيبَ إلا الله »[1].

وكان الصحابة رضي الله عنهم أشدَّ الناس حُبّاً لنبيِّهم عليه الصلاة والسلام ، تحمَلوا من أجله الأذى وهاجروا معه ، ومع ذلك لم يتفوَّه أحدٌ منهم بشيءٍ من ألفاظ الغلوِّ والشرك في حقّه ﷺ.

فالعاطفة لها حد تنتهي عنده ، ومقدارٌ لا ينبغي تجاوزُه ، وذلك إذا بلغت حدّ المحذور شرعاً ، وخالفت كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وما كان عليه سلف هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح .

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، إنما جاءوا لإقرار التوحيد وهدم الشرك ، فلا يُعبدُ إلا الله ، ولا يُعبدُ إلا بما شرع ، لذا قالوا كلُّهم لأقوامهم كما أخبر الله عنهم : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [من مواضعه - الأعراف : ٥٩] .

فمن استغاث بالأنبياء والأولياء والأموات فقد عبدّ غيرَ الله ؛ لأن الاستغاثة عبادةٌ لا يحلُّ صرفُها إلا لله ولا يقدر عليها من الأموات أحد مهما سما وعلا المستغاث به نبياً كان أم وليّاً.

ورسالتي هذه ردٌّ على ألوان من الشرك قبيحة ، وقعَ فيها صاحبُ المقال المشار إليه ، كتبتُها غيرةً منّي على التوحيد ـ الذي هو

(١) أخرجه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه .

أوجب الواجبات ـ ، وشعوراً بالمسؤوليّة العظيمة الملقاة على كواهل طلبة العلم ، وهي بعنوان : « التبديد لظلمات من خالف التوحيد »، أسأل الله تعالى أن يَمُنَّ على صاحب المقال بالتوبة النصوح[1] ، وأن يكتب لي الأجرَ الجزيل ، وأن يجعل هذه الرسالة في صحائف أعمالي ـ فقد أردت الإصلاح ما استطعت ـ .

وإنني أشكر فضيلة الشيخ الأخ الكبير سعد بن عبد الرحمن الحصين حفظه الله ، على مراجعته لهذه الرسالة وإبدائه ملاحظاته وتوجيهاته فجزاه الله خيراً .

كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور محمد الشلبي على مراجعته لهذه الرسالة وما أبدى من ملاحظات وتصويبات ، فجزاه الله خيراً.

والحمد لله رب العالمين

وكتبَ « أبو أنس »

محمد بن موسى نصر

(١) توفي قبل بضع سنوان مضت .

(١)

هل زيارة المدينة المنورة من أعمال العمرة ؟!

وبعد ما تقدّم ، ها هي مآخذي على المقال :

قال الأستاذ أكرم زعيتر : (ورحت أُعدُّ نفسي لاعتمار المدينة) ، وكذا قوله : (أعتمر المدينة وزيارة محمد قد فررتُ من كل دُجنةٍ نفسانيّة إلى عالمٍ من نور) .

قلت : لا أعلم أحداً من سلف هذه الأمة استخدم هذه العبارة « اعتمار المدينة المنورة » ، اللهم إن أراد الكاتب المعنى اللُّغويَّ منها ، إذ إنَّ العمرةَ في اللغة معناها : الزيارة ، أما المعنى الشرعي فباطلٌ ؛ لأنه من المعلوم عند العلماء أن زيارة المدينة النبوية ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ ليست من أعمال العمرة التي أمر الله بها في قوله : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ [البقرة: ١٩٦] . وقوله : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ [البقرة :١٥٨] .

وإنما الزيارة مستحبة لمن حجّ البيت أو اعتمر من أجل زيارة مسجد النبي ﷺ والسلام عليه ، والصلاة في مسجد قباء حيث إن

ركعتين فيه تعدلان عمرة[1] .

وشدُّ الرحال لزيارة مسجد النبي ﷺ مستحبٌّ لقوله ﷺ : « لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »[2] .

وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام داخلة في زيارة مسجده ﷺ ، فالصواب أن يقول الكاتب : (لزيارة المسجد النبوي) .

---

(١) الحديث : « من تطهّر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين كانتا له كأجر عمرة » ، رواه مسلم وابن ماجه وأحمد.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢)

مُنَوِّر القلوب هو الله وحده

قال الأستاذ أكرم : (وظلَّ سيدي محمدٌ يؤنسُ ضميري وينوّر فؤادي) ، وقال أيضاً : (وأشرق وجهي بنور الرسول الظافر) ، وقال : (إنني خلقتُ خلقاً جديداً ، لقد صاغني ربي من نور) .

قلت : ولي على هذه العبارات بعض المؤاخذات الشرعية : إنّ منوِّرَ القلوب إنما هو الله تعالى وحده المتصرِّف في خلقه كيفما شاء ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] أي منوِّرهما .

والنبي ﷺ قد أفضى إلى ربه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، فمن زعم أن النبي ﷺ له نوع تصرُّف في الكون بعد وفاته ، فقد أشرك بربه تعالى - الذي بيده مقاليد السموات والأرض ، فمقلّبُ القلوب هو الله وحده لا غير .

لذا كان النبي ﷺ يُكثر في دعائه من قوله : « اللهم يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك ، يا مصرِّف القلوب صرِّف قلبي على طاعتك »[1] .

---

(١) رواه البخاري .

وكان يقول : « القلوب بين أصبُعين من أصابع الرحمن يُقلِّبها كيفما شاء »[1] .

فما قاله الكاتب غلوٌّ شائنٌ ، وتفريطٌ في جنب الله تعالى ، وقدحٌ في التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد .

(١) أخرجه مسلم ، وأحمد من حديث ابن عمر ، ولكن بلفظ : « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحدٍ يُصرِّفُهُ حيث يشاء » . انظر : « صحيح الجامع » (رقم : ١٦٨٥) ، و « الإيمان » (ص٥٥) .

(٣)

إثبات بشريّة الرسول ﷺ

قال الأستاذ أكرم : (حتى أشرقت نفسي بنور محمديٍّ ، وأحسست أنَّ همّاً قد انزاحَ عن كاهلي) .

قلت : وهذا مثل سابقه ، فالنبي ﷺ بشرٌ كسائر البشر ، أكرمه الله بالرسالة ، ورفع قدره ومنزلته على خلقه جميعاً ، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يقول ما يقوله المشعوذون من أنه ﷺ نورٌ ذاتاً وحقيقةً، وكيف يكون ذلك والله جل جلاله قد أثبت بشريّته ﷺ حيث قال : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وقال أيضاً : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٣] .

وقال أيضاً : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨].

وغيرها من الآيات وهي كثيرة معلومة .

وقد كان من جملة اعتراض المشركين على أنبياء الله تعالى كونُهم من جنس البشر الذين يعرفونهم ، لذا قال تعالى عن قوم نوح وعاد وثمود : ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم : ١٠] . وقد رد عليهم رسلهم بإثبات بشريتهم فقال الله عنهم : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ١١] . وحكى الله عن قوم صالح قولهم : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٣-٣٤] .

وغيرها من الآيات التي تثبت أن الأنبياء جميعاً من جنس البشر ، إذ لو كانوا من أجناس أخرى لما كان هناك اعتراض عليهم من أقوامهم ، ولكنه ابتلاءٌ من الله لخلقه حيث بعثَ فيهم أنبياء من بني جلدتهم .

ولما كان النبي ﷺ بشراً كسائر البشر ، كان النُّور في رسالته ودعوته وسنته وطريقته ، لا أنّ ذاته ﷺ من نور ، فمن زعم أن

النبي ﷺ نور وأنكر بشريته فقد خالف النص والإجماع ، وضل ضلالاً بعيداً .

والإشراق يكون بنور الله تعالى ، لا بنور أحد من خلقه في الدّارين ، قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر : ٦٩] .

(٤)

نُورانيّة النبي ﷺ كما يصورها الكاتب

لقد دندن الكاتب ـ غفر الله له ـ كثيراً حول النور المحمّدي ، فها هو يقول : (حتى أشرقت نفسي بنور محمّدي) .

ويقول : (إنني باعتمار المدينة وزيارة محمد قد فررت من كل دجنةٍ نفسانية إلى عالم من نور) ، وقال : (وأشرق وجهي بنور الرسول الظافر) .

وليت الكاتب اكتفى بأن جعل النبي ﷺ نوراً ، بل زاد الطين بِلَّةً حين زعم أن نور النبي ﷺ من نور الله تعالى ، فقال : (سيدي أبا القاسم جئت أبددُ نفسي بنورك ، ونورك من نور الله) .

وكأن الكاتب ـ غفر الله له ـ لم يسمع قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

أو أنه لم يسمع بسورة الإخلاص : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ١-٤] .

فكيف يضاهي بقوله قول النصارى الذين قالوا : ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] ، وقول اليهود : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

وحيث إنَّ الكاتب زعم أن ذات النبي ﷺ من ذات الله ؛ لزم من ذلك أن ذات النبي ﷺ تشبه ذات الله ، وهذا كفر شبيه بكفر اليهود والنصارى .

فقد حكى الله عنهم ما قالوا فقال : ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠]، وقولهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة : ٧٣] ، فكفرهما الله بما قالوا في حقّه ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١٧]، وقال أيضاً : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة : ٧٣] .

ثم إن الكاتب بكلامه المتقدم آنفاً ، يجدد دعوة غلاة الصوفيّة القائلين بأن النبي ﷺ لم يكن من جنس البشر ، وإنما هو نورٌ من نور الله ، ويستدلون بروايات لا زمامَ لها ولا خطام ، منها حديث « أول ما خلق الله نورُ نبيّك يا جابر » [١] ، وهو حديث باطل

---

(١) رواه عبد الرزاق ، انظر : « كشف الخفاء » للعجلوني ، حديث رقم (٨٧٢) .

مكذوب ، ومع بطلانه فهو مخالف لحديث « أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ... »[1].

كما يستدلون بحكاية تُنسب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ما أدري من أين لهم بها ، خلاصتها : أنها - أي عائشة - كانت تُغَسِّلُ النبي ﷺ ، فلما أرادت أن تعقدَ إزارَهُ على وسطِه خرجت العقدةُ من الجهة المقابلة ، وخرجت من خلال جسده ﷺ[2]. وأعتقد أن هذه القصة ملفقة مزوّرة ؛ لمخالفتها الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، من أنه ﷺ بشر كسائر البشر .

ويستدل الصوفية بآية من كتاب الله يُحرِّفون معناها ومرادها وهي قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] ، فالنور في هذه الآية عند الصوفية هو النبي ﷺ ، وقد غفلوا أو تغافلوا عن أن النور في الآية إنما هو سنته وهديه ﷺ ، يؤيد ذلك قوله تعالى مخاطباً زوجات الرسول ﷺ : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب : ٣٤] ، والحكمة عند المفسرين : هي السنَّةُ ، قال

---

(١) أخرجه الترمذي ، وأبو داود ، وأحمد .

(٢) حاولت جاهداً أن أعثر على أصل هذه الحكاية ، فلم أهتد إلى شيء .

تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال ﷺ : « لقد أوتيت القرآن ومثله معه »[1] ، فمن زعم أن المقصود بالنور في الآية السابقة هو ذات النبي ﷺ وحقيقته الجسدية فقد غلا غلواً مُشيناً ، وخالف الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ، وكان على شفا جرف هار ، ولا أعلم أحداً قال بنورانية النبي ﷺ كما قال الكاتب ، إلا فرقة ضالة في شبه القارة الهندية تدعى « البريلويّة » ، وقد قال بقولها كثير من غلاة الصوفية في أكثر بلاد الإسلام ، وقد كتب العلماء في الردّ عليها كتباً ومصنّفات عدّة ؛ من أشهرها وأفضلها كتاب « البريلوية عقائد وتاريخ » للأستاذ إحسان إلهي ظهير[2] رحمه الله .

وإليك أخي القارئ الكريم بعضاً من معتقدات هذه الطائفة الضالة التي تعيث في الأرض فساداً ، فكفّرها العلماء بسبب معتقداتها الفاسدة .

---

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم ، من حديث أبي رافع .

(٢) قُتلَ على أيدي أعداء الإسلام من الباطنيين وغيرهم ، في شعبان عام (١٤٠٧هـ) وهو يلقي محاضرة دينية في أحد مساجد لاهور ، ففجّروا قنبلة موقوتة فيه وفي إخوانه ومن حضر من المسلمين ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

أ - اعتقادهم أن الرسول ﷺ من نور الله .

قال أحمدُ يار البريلوي : « إن رسول الله ﷺ نورٌ من نور الله ، وكل الخلائق من نوره »[1].

قال آخر : « إن محمداً ﷺ ليس بعين الله ولا هو غير الله ، هو مظهر صفات محيي الأرواح ، منه خلقَ الجنُّ ومنه الإنسُ ، ومنه ظهرَ العرش والكرسيُّ ، ومنه حواءٌ ، ومنه آدم ﷺ »[2].

قال البريلوي نفسه : « إن ظلَّهُ [أي النبي ﷺ] كان لا يقع على الأرض ، وإنه كان نوراً فكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يُنظرُ له ظلٌّ »[3].

وقال في قصيدته قصيدة النور ، تعالى الله وتعالى رسوله عما يقول : « إنك نورٌ وكل عضوٍ من أعضائك نورٌ ، وكل ولدٍ من أولادك نورٌ ، أنت عين النور ، وأصلك كلُّهم نورٌ »[4].

---

(١) « مواعظ نعيمية » (ص١٤) ، نقلاً عن كتاب « البريلوية » لإحسان إلهي ظهير .

(٢) « ديوان ديدار علي » (ص١٤) نقلاً عن كتاب « البريلوية » لإحسان إلهي ظهير رحمه الله تعالى .

(٣) « نفي الفيء عمن أنار بنوره كل شيء » للبريلوي ، في مجموعة رسائل (ص٢٠٢) ، نقلاً عن « البريلوية » .

(٤) المصدر السابق (ص٢٢٤) نقلاً عن « البريلوية » .

ثم كشف أحد البريلويين عن كفرٍ بواحٍ لم يقل به فرعون ولا إبليس من قبل ، فقال عليه اللعنة : « إن الذي كان مستوياً على العرش بصورة الإله هو الذي نزل في المدينة بصورة المصطفى »[1] .

قلت : وهذه هي عقيدة ابن عربي القائل بوحدة الوجود ، وهي عقيدة فاسدة متوارثة عن البوذيّة والنصرانية وغيرها من الأديان ، وهي ما تسميه الصوفية بـ (الحقيقة) وهي أعلى منازل التصوف ، وهي غاية ما يرنو إليه كل صوفي - إلا من رحم ربك - وقد كفّر العلماء القائلين بهذه العقيدة ، بل جعلوهم أكفر من فرعون وإبليس .

وقد ألّف الإمام البقاعي كتاباً جمع فيه طبقات العلماء الذين قالوا بكفر ابن عربي لتصريحه بعقيدة وحدة الوجود ، ومثلها في الفساد عقيدة الحلول والاتحاد [أي حلول الله تعالى في جسم كل كائن حيٍّ حلول اللبن في الماء] تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وكتاب البقاعي سماه « تنبيه الغبيّ إلى تكفير ابن عربيّ » ، وهو مطبوع ومتداول في الأسواق والمكتبات .

ومن أفضل من ردَّ على ترّهات الصوفية وخزعبلاتهم وشطحاتهم ، وبدعهم وضلالاتهم الإمام ابن الجوزي في كتابه

---

(١) « البريلوية » (ص١٠٥) .

العظيم « تلبيس إبليس » ، وابن تيمية شيخ الإسلام في كتبه الكثيرة ككتاب « الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان » ، وكتاب « العبودية » ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل في كتابه « هذه هي الصوفية » ، والأخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه « الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة » ، وغيرها من الكتب النافعة .

ب - ومن أدعية وخطب طائفة البريلوية الضالّة .

قولهم : « الحمد لله الذي خلق قبل الأشياء نورَ نبينا من نوره ، وفتق الأنوار من لمعات ظهوره ، فهو ﷺ نورُ الأنوار ، ومُمدُّ جميع الشموس والأقمار ، سمّاه ربُّه في كتابه الكريم ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٦] ، فلولاه ما استنارت شمس ولا تبيّن يوم من أمس ، ولا تعيَّن وقت الخمس »[١] .

جـ - اعتقادهم حضور النبي ﷺ وشهوده كلَّ الأزمنة والأمكنة .

قال أحمد سعيد الكاظمي البريلوي : « لا يخلو مكان ولا زمان إلا والرسول ﷺ موجودٌ فيه »[٢] .

---

(١) « نفي الفيء عمن أضاء بنوره كل شيء » للبريلوي ، في مجموعة رسائل (ص١٩٩) ، نقلاً عن « البريلوية » لإحسان إلهي ظهير ، (ص١٠٤) .

(٢) « تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر » (ص٨٥) ، نقلاً عن « البريلوية » (ص١٠٦) .

وقال أيضاً : « لا يستبعد من رسول الله ﷺ أن يكون حاضراً موجوداً في الأمكنة المتعددة التي لا تُعدُّ ولا تحصى بوجوده المقدس بعينه »[1].

وقال البريلوي نفسه : « إن الأولياء يستطيعون الحضور عشرة آلاف مدينة في آن واحد ، وثانية واحدة ، إن شاءوا وأرادوا »[2].

وقال عن النبي ﷺ : « إن نظرة الرسول على كل ذرّة من ذرات العالم في كل حين ، وإنّه يحضرُ تلاوة القرآن ، وقراءة الموالد ، وقراءة القصائد ، كما أنه يحضر جنازة الصالحين بجسمه الأطهر »[3].

فهل رأيت أخي القارئ كفراً أخبث وألعن من هذا الكفر ، وها هم الصوفية بجماهيرهم يلتقون مع البريلوية في مسألة حضور النبي ﷺ بدعهم وموالدهم ، فتراهم يقفون على أرجلهم حال اجتماعهم على المولد لاعتقادهم أن النبي ﷺ حضر بجسده

(١) « تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر » (ص٨٥) ، نقلاً عن « البريلوية » (ص١٠٦) .

(٢) « ملفوظات » البريلوي (ص١١٣) ، انظر : « البريلوية » (ص١٠٧) .

(٣) « جاء الحق » (ص١٥٥) للكجراتي البريلوي ، نقلاً عن « البريلوية » (ص١٠٧) .

الشريف المولدَ المُعدَّ له .

فلا تغترَّ بإنكار بعض الصوفية لهذا الاعتقاد عندهم ؛ فإنه من تقيَّتهم ، ولست بصدد الرَّدِّ على البريلوية أو الصوفية وتفنيد أباطيلهم ، وإنما قصدي المقارنة بين ما قاله صاحب المقال وبين تلك العقائد الباطلة في كثير من الكلمات التي صرَّح بها في مقاله ، فالله المستعان على ما يصفون جميعاً .

(٥)

يجب الوقوف حيث وقف الصحابة رضي الله عنهم

قال الأستاذ أكرم : « لست أقنعُ بالتحية والسلام ، لا بدَّ من مناجاة ، هذه ساعة أبيع العمر كلّه لله » .

قلت : لماذا لا يقنع الأستاذ بما قنع به الصحابة رضي الله عنهم ، أليس له أسوة حسنة في فعل ابن عمر رضي الله عنهما ؟! فقد ورد عنه أنه كان يُسلّم على النبي ﷺ وصاحبيه كلما خرج مسافراً أو عاد من سفر[1] ولا يزيد على قوله : « السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه » .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس حُبّاً لنبيّهم ﷺ وتعظيماً له ، ومع ذلك لم يتوجّه أحدٌ منهم إلى حجرته في ساعة شدَّةٍ أو رَخاء مناجياً النبي ﷺ ؛ ذلك لأنهم يعلمون أنَّ ذلك شركٌ ؛ لأن النبي ﷺ وإن كان حيّاً في قبره لكنَّ حياتَه برزخيّة لا يعلمُ بها إلا الله تعالى ، وهي لا تشبه حياتنا ، لذلك لم يكن من هديهم ابتدارُ الحجرة بعد كل صلاة كما يفعل مبتدعة زماننا .

---

(١) انظر : « التحقيق والإيضاح » للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، (ص١١٣) .

فالصّحابة رضي الله عنهم وأهل القرون المفضَّلة والأئمة الأعلام من هذه الأمة وأهل التوحيد عموماً يعلمون أنَّ مناجاة النبي ﷺ مناجاة الأحياء لا تحلُّ ولا تشرعُ ؛ لأنه ﷺ لا يَسْمَع إلا السلام عليه فقط لقوله ﷺ : « ما من أحدٍ يُسلِّم عليَّ إلاّ ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام »[1].

وقوله ﷺ : « إن لله ملائكة سيَّاحون يُبلِّغونني من أمتي السلام »[2].

فالنبي ﷺ لا يسمع كل ما يُقال له أو كلَّ مناجاة ، وحتى لو فُرض سماعُه ﷺ ، فلا تَحِلُّ مناجاتُه مناجاة الأحياء للأحياء ؛ لأن الشكوى والنجوى إنّما تكون لمن يقدر على الإجابة والإعانة وهو الله الحيُّ الذي لا يموت .

وأما قوله : « هذه ساعةٌ أبيعُ العمرَ كُلَّهُ بها » . فهذا من الغلو ، فإن تمام الخشوع والخضوع يكون لله وحده . والبيع يكون لله وحده .

---

(١) أخرجه أبو داود ، وحسّنه شيخنا في « الصحيحة » (٢٢٦٦) و « صحيح الجامع » (٥٦٧٩) .

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

(٦)

وجوب التأدّب مع النّبيّ ﷺ حيّاً وميّتاً

ولا يظنن من في قلبه مرضٌ من خلال ما تقدّم أننا لا نتأدّبُ مع النبي ﷺ أو ننكرُ الأدب معه ، فإنَّ ذلك ظلمٌ كبيرٌ ، وفريةٌ بلا مَرية ، فنحن ولله الحمد من أكثر الناس أدباً معه ﷺ ، فأدبُنا شرعيٌّ في حدود ما أمر الله به ، وما أمرَ به رسوله ﷺ ، فإنَّ حُبَّ النبي ﷺ والتأدب معه ﷺ يكون بامتثال ما أمر والانتهاء عمّا نهى عنه وزجر ، فالحبُّ ليس بالتمنّي ولا بالتحلّي ، بل بالاتباع الصادق له ﷺ ، لذا امتحن الله أقواماً يدّعون حبَّ الله وحُبَّ النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، إننا نحبُّ ربّنا ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

أما قول الكاتب مخاطباً النبي ﷺ : « في خاطري يا محمدُ ما أحبّ أن أقوله لك » ، وقوله : « لست وثنياً يا محمد » ، وقوله : « أجل إني باعتمار المدينة وزيارة محمد » .

إن استعمال الكاتب اسم النبي المجرّد ، ومخاطبته به ليس من الأدب في شيء ، فلم يُقدِّر النبي ﷺ حقَّ قدره من يُخاطب النبي

ﷺ باسمه المجرّد ، وقد كان الصحابة ينادون النبي بـ « يا رسول الله » ! و « يا نبي الله » ! كانوا يفدونه بآبائهم وأمّهاتهم قائلين : فداك أبي وأمّي ، لبيك وسعديك يا رسول الله ، ونحوها من عبارات الأدب والتعظيم ، أمّا مناجاتُه باسمه المجرّد فلم يكن الصحابة يناجونه به ﷺ قط .

وقد أمر الله صحابة رسوله ﷺ بادئ الأمر أن يُقدِّموا صدقةً بين يدي مناجاتهم لرسولهم ، ثمَّ نُسخَ الأمرُ واستقرَّ على ما نُسخَ عليه[1] .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المجادلة : ١٢-١٣] .

وقال تعالى : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ [النور : ٦٣] .

---

(١) انظر : « القرطبي » (١٩/٣٠٢) .

وقـــال تعـــالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٢] .

فجعل سبحانه مخاطبة الرسول باسمه المجرد ومساواته بآحاد الناس من أسباب حبوط العمل الصالح عياذاً بالله .

(٧)

خطرات النفوس لا يعلمُ بها إلا الله وحده

قال كاتب المقال : « فهل تأذنُ لضميري أن يتكلّم ، هل تسمح لوجداني أن يَبُثّك ما يعتلج فيه » .

قلت : لقد أثبت الكاتب للرسول ﷺ علمَ الغيب في أخفى صورة ، فإنَّ معرفة ما يعتلج في الصدور وما يدور في الخواطر والنفوس ، وما يُحاك في الضمائر لا يعلم به إلا الله تعالى ، الذي يعلم السرَّ وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥] .

وقال ﷺ : « لا يعلم الغيب إلا الله » (١) .

فلو كان النبي ﷺ حيّاً لما جاز للمسلم أن يعتقد فيه علم الغيب ، فكيف وقد أفضى إلى ربّه ، وانتقل إلى الدار الآخرة .

---

(١) انظر تخريج رقم (٣) .

وهل كان النبي ﷺ يعلم ما يدور في نفوس أصحابه ؟!
حاشاه من ذلك ، لا والله ، إلا أن يُوحِيَ الله إليه بشيء من ذلك ، أما وقد انقطع الوحيُ ولَحِق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ، فهل يَحِل لأحد كائناً مَنْ كان أنْ يَدَّعِيَ ما ادّعاه الكاتب ، اللهم غَفْراً !!

(٨)

تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك يكونان بالاعتقاد الجازم والعمل الجاد

إن المسلم لا يكون موحِّداً حقاً حتى يُثبت لله ثلاثة أنواع من التوحيد ، وينفي عنه جَلَّ جلالُه ثلاثة أنواع من الشرك :

الأول : توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بأفعاله ، كالخلق والإحياء والإماتة والبعث والرزق وغير ذلك . وهذا النوع أقرَّ به المشركون على زمن النبي ﷺ ، ومع ذلك لم يدخلوا في الإسلام ؛ لأنهم كفروا بما سواه ، فقاتلهم النبي ﷺ واستحلَّ دماءهم وأموالهم ، ومن أدلّة هذا النوع من التوحيد قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] .

والثاني : توحيد الأُلوهيَّة [العبوديّة] ، وهو توحيد الله بأفعال خلقه وعباده ؛ كالدّعاء ، والنذر ، والنحر ، والاستغاثة ، والاستعاذة ، والخوف ، والرجاء ، والرّغبة ، والرّهبة ، والإنابة ، والاستعانة ، والحلف ، والطواف بالبيت ، وغيرها من العبادات .

وهذا النوع من التوحيد وقع فيه النزاع في قديم الزمان بين الأنبياء وأقوامهم ، وفي الزمن الحديث بين دعاة التوحيد ومخالفيهم من الصوفيّة وغيرهم ، وكان جُلُّ اهتمام الأنبياء دعوة الناس إليه ، ومن أدلّته قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] . وقال أيضاً : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات ، وهو توحيد الله بإثبات ما أثبته لنفسه ونفي ما نفاه عن نفسه ، وإثبات ما أثبته له رسولُه ونفي ما نفاه عنه رسوله من الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تحريف ، ولا تعطيل ولا تشبيه ، على صفة الكمال ، فهو جلَّ جلاله كما وصف نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وضد التوحيد الشرك ، وأنواعُهُ ثلاثة : هي نفسُ أنواع التوحيد الثلاثة .

فمن حقّق التوحيد بأنواعه الثلاثة : قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً ، وتبرّأ من الشرك بأنواعه : قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً ،

وأخلص لربه ، وتجنّب كبير الشرك وصغيره ، فهو الموحّد حقاً ، أما أن يتبرّأ من الشرك بلسانه ، ويمارسه بأعماله وجنانه ، فهذا تناقض غريب عجيب ، لا يُدخل صاحبه في زمرة الموحّدين ...

ولنستمع إلى تناقض الكاتب - في هذا الصدد - حيث يقول : « لست وثنياً يا سيدي ، وأنا أعلم أنك بشر ، وأنك عبدُه ورسوله ».

قلت : قارن بين قوله هذا ، وبين قوله السابق : « سيدي أبا القاسم جئت أُبدّدُ نفسي بنورك ، ونورك من نور الله » لترى التناقض العجيب .

ثم نسمعُهُ يقول : « لست وثنياً يا محمد ... إنني أعبد الله ولا أشرك به ، وقد هديتني أنت لهذا » .

قلت : وهذا ما نرجوه منك ونرجوه لك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وأن تتبرّأ من كلماتك الشِّركيّة لتلقى الله تعالى سالماً غانماً . ولكنها مجرد أماني ودعاوى ليس عليها بينات .

ثم ينقضُ الكاتب كلامه السابق وبراءته من شركه فيقول : « ومع ذلك فهل تأذن لي - بعد أن أستغفر الله - بأن أمرِّغ وجهي في ترابك ... إن نفسي تتوق - بعدَ أن تستغفر الله - إلى أن تُقبِّل تراباً ضمَّك ... » .

وصرَّح أكثر من ذلك فقال : « هذا هو حق العين حين

تكتحل بمرقدك يا رسول الله » إلى أن قال : « إنها كهربائية الرسول الأعظم » .

قال أيضاً : « فهنا يستطب مفؤودٌ ، وهنا يستشفي مكلومٌ ، ومَنْ ذا الذي يَأْسُو كُلُومي ، ويُضمّد جراحي سواك ... وهل يجوز لمثلي يا مولاي أن يتوانى في بثِّ سيده شكواه » .

قلت : فهل يستقيم كلامه السابق مع كلامه اللاحق ؟

هل يقبل الله استغفاراً مع إصرار صاحبه على شركه ؟

إذا كان الكاتب يعلم أن العُكوف على القبور وتمريغ الخدود بها شركٌ ووثنيّةٌ ، فلماذا يتمنّاه ويطلبُه ويُصرِّح به ، ولو مُكّن منه لفعله ، عجيب أمر هذا الكاتب !!

إنه يصرح بالشرك أولاً ثم ينفيه ، يعتقده شركاً ثم يمارسه قولاً ويتمنّاه عملاً ، ما فائدة ذلك النفي ؟!

إن الاستغفار المقبول عند الله هو الذي يصحبه توبةٌ وندمٌ وإقلاعٌ عن المعصية ، أما من يُمارس المنكر ويزعم أنه منكر ويستغفر الله منه وهو مصرٌّ عليه ، يتفوه به ويُحبُّه ويتمناه ويدعو إليه ، فهذا مخادع لم يَتُب حقاً وصدقاً .

والعجب من الكاتب كيف يقول : « لست وثنيا يا سيدي » ويقول في الوقت نفسه : « فهل تأذن لي بتمريغ وجهي في ترابك » .

أقول : إن الدّعوى شيء ، والواقع شيء آخر ، وهل يأذن النبي ﷺ بشيء من ذلك ؟! حاشاه من أن يُقرَّ الشرك أو يرضى به ، كيف وقد غضب على من قال له : « ما شاء الله وشئت يا رسول الله ، فقال له النبي ﷺ : أجعلتني لله ندّاً ؟! قل ما شاء الله وحده »[1] .

أليس من الاستخفاف بالنبي ﷺ - الذي دعى إلى التوحيد وحارب الشرك حتى آخر نفس من أنفاسه الطاهرة - أن يطلب الكاتب منه ﷺ أن يأذن له بشيء من الشرك مع اعترافه أن تمريغ الوجه بالقبور وثنيّةٌ وجاهليّة !!

فعلى الكاتب أن يتوب إلى ربه ويستغفره ، وذلك بإعلانه الرجوع عن شركيّاته في مقاله امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٩)

العكوف على القبور وتمريغ الوجوه بها من أعمال الجاهلية

إن تقبيل القبور ، وتمريغ الوجوه بها ، والعكوف عليها من الشرك الذي قضى عليه النبي ﷺ ، ومن أعمال الجاهلية الأولى ، وهو من شعائر المشركين وطقوسهم في كلّ عصر ومصرٍ ؛ فالقبور لا يعكف عليها ولا يتمسّح بها ولا يُذبح عندها ، ولا تُقبَّل حتى لو كانت قبورَ أنبياء وأولياء ؛ لأن ذلك شركٌ والعياذ بالله ، فلا يبنى عليها القباب ولا المساجد ، والمشروع زيارتها للسلام على أهلها والدعاء لهم بما ثبت في السنّة من غير شد رحال إليها[1] .

ومن الأمور المحرّم فعلها عند القبور ما يلي :

١ - الذبح لغير الله ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا عقرَ في الإسلام »[2] .

---

(١) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » . رواه البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه .

(٢) أخرجه أبو داود ، وأحمد ، وصححه شيخنا في « الصحيحة » رقم (٢٤٣٦) و « صحيح الجامع » رقم (٧٥٣٥)

قال عبد الرزاق بن همّام : « كانوا يَعْقِرُون عند القبر بقرةً أو شاةً »[1] .

٢ - رفعها زيادةً على التراب الخارج منها .

٣ - طليها بالكِلْس ونحوه .

٤ - الكتابة عليها .

٥ - البناء عليها .

٦ - القعود عليها .

٧ - الصلاة إليها .

٨ - الصلاة عندها ولو بدون استقبال .

٩ - بناء المساجد عليها .

١٠ - اتخاذها عيداً تُقْصَد في أوقات معيّنة ومواسم معروفة للتعبد عندها ونحو ذلك .

١١ - السفر إليها .

١٢ - إيقاد السُّرُج عندها[2] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٧١/٢) ، والبيهقي (٧٥/٤) ، وأحمد (١٩٧/٣) ، وصححه شيخنا العلامة الألباني في « أحكام الجنائز » وقال : إسناد صحيح على شرط الشيخين . انظر : « أحكام الجنائز » (ص٢٠٣) .

(٢) وتفاصيل ما تقدم مما يحرم عند القبور مع الأدلة عليها تجده في كتاب شيخنا العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ « أحكام الجنائز وبدعها » (ص٢٠٣-٢٣٣) .

(١٠)

المؤثر والفاعل في الأشياء هو الله وحده لا غير

قال الكاتب أكرم زعيتر : « إنه تفاعل بين الفؤاد والعين ، الفؤاد يخفق ، والعين تترجم ، إنها كهربائيّة الرسول الأعظم » .

قلت : تأمّل أخي القارئ إلى ما وصل إليه غلوُّ الكاتب في الرسول ﷺ حيث شبَّه تأثيره في الآخرين بتأثير التيار الكهربائي في الأجسام والأجهزة التي يمرُّ بها ، إنني - فيما علمت - لم أسمع أحداً من قَبْلُ أثبت للنبي ﷺ ما أثبته الكاتب من التأثير في الآخرين تأثير الكهرباء في الأجسام ، فلو كان النبي ﷺ حيّاً ما جاز أن يُثبتَ له ما أثبته الكاتب ، فكيف بعد أنْ أفضى إلى ربه ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

فإن المؤثِّرَ في الأشياء كلّها هو الحي الذي لا يموت ، ربُّ السموات والأرض مَلِك الملوك ، الذي بيده مقاليد كل شيء .

هل هناك شرك بالله أعظم من هذا الشرك ؟!!

وهل هناك غُلوٌّ أقبح من هذا الغلو ؟!!

إن حبَّ النبي ﷺ فرض على كل فردٍ من أمته ، لكن لا إلى حدِّ الإشراك بالله ، ولا إلى حدِّ إخراجه عن صفته البشرية ،

واعتقاد أنَّ له تأثيراً في العالم الخارجي وفي قلوب أمته وأتباعـه ، إن هذا الزعم من أعظم الإفك والباطل ؛ فإنه ﷺ لم يستطع أن يؤثِّـر في قلـب عمّـه فـيردَّه مـن الضلالـة إلى الهدايـة ، قـال تعـالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

فكيف يدَّعي الكاتب ما ادّعاه في حق النبي ﷺ .

ومن المدهش أن المشركين الذيـن حاربـهم النبي ﷺ واستباح دماءهم ، وسبى نساءهم ، تنزَّهوا عن نسبة جلـب النفـع أو دفـع الضرِّ لآلهتهم ، وإنما كان شركهم لربهم شرك الإلهية ، لكـنَّ كثيراً من المسلمين اليوم ينسبون جلب النفع ودفع الضـر لغير الله تعـالى ، فجعلوهم أنداداً من دون الله ، تعـالى الله عمّـا يقـول الظـالمون علـوّاً كبيراً .

(١١)

الموحّدون يبثّون همومهم وأحزانهم إلى الله

واستمع أخي القارئ لصاحب المقال وهو يبثُّ شكواه وأحزانه للنبي ﷺ ـ كما لو كان النبي ﷺ حيّاً ، بل وكأنّه يُناجي ربّ العالمين ـ فقال : « سيدي محمد إنني جريحٌ ... إنني جريحٌ ... جريحٌ يا سيدي وقد كتمتُ جراحي عن الناس كلهم ، ويكاد الكتمان يقتلني إن لم أبح بما في نفسي قُضِي عليَّ ، وما أرى في الدنيا من يستأهل أن أشكو إليه جراحي ، وأن أبثّه آلامي ، وما أحببت يا مولاي أنْ يشركني في همّي زوج أو أخت أو صديق ، فاجترعت كل غصّةٍ ، وسترت كل جرحٍ ، ورددت كل دمعة إلى مستقرِّها في القلب لتفيض هذه الساعة أمام مثواك ، فهنا يستطب مفؤودٌ، وهنا يستشفي مكلومٌ، من ذا الذي يأسو كُلُومي ، ويُضَمِّدُ جراحي سواك » .

قلت : أليس للأستاذ الكاتب في نبيِّ الله يعقوب أسوةٌ حسنة ، حيث بثّ همّه وحزنه إلى الله رب العالمين ، وهو نبيُّ الله وعبده الصالح ووليه في أرضه ، ومع ذلك أبدى افتقاراً إلى الله تعالى ، قال تعالى ـ حاكياً حاله مبيناً أحزانه ـ : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[يوسف : ٨٤-٨٦] . وليس هو فحسب ، بل هذا حال أنبياء الله محمد وإبراهيم ونوح ويوسف ويونس ولوط عليهم الصلاة والسلام ، الذين التجأوا إلى الله عز وجل ليبثوا إليه شكواهم وافتقارهم إليه على ما أصابهم همٌّ وحَزَنٍ بسبب عناد أقوامهم وكفرهم بالله عز وجل .

فالشكوى لا تكون إلا إلى الله وحده ، أو إلى مخلوق قادرٍ على جلب نفع أو دفع ضرٍّ ، أما غير ذلك فشرك والعياذ بالله ؛ فإن الذي يغيثُ الملهوفَ وينصرُ المظلومَ ويُضمِّدُ جراحَ المكلومِ ويفعل ما يريدُ إنما هو الله وحده لا شريك له القائل : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢]، والقائل : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٦٧] .

فالموحدون يلجأون إلى الله عند الشدائد والملمات ، وفي الرّخاء والشدّة ، ويستغيثون به وحده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ

لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] » [1] .

فهل يليق بمن اشْتَمَّ رائحة التوحيد أن يجعل لله أنداداً فيدعوهم في الملمّات لكشف الكربات وقضاء الحاجات وتضميد الجراح ، ولو كان المدعوُّ مَلكاً مقرَّباً أو نبيّاً مُرسلاً ؟!

(١) رواه البخاري .

(١٢)

شركُ الكاتب في مقاله من أقبح صور الشرك

لقد أثبت الكاتب للنبي ﷺ في مقاله أنواعاً كثيرةً من التصرُّف بعد مماته ، كسماع المناجاة ، وإغاثة الملهوف ، وكشف الكروب ، وتنوير الوجوه والقلوب ، والتأثير في المحسوسات والملموسات تأثير الكهرباء في الأجسام المارة بها ، فنفى بشرية الرسول ﷺ ، وزعم أنه مخلوقٌ من نور ، بل اشتطَّ أكثر من ذلك فزعم أن نورَه ﷺ من نور الله ، فخرج بذلك عن تعاليم الكتاب والسنة ، وما أجمع عليه الموحدّون على مرِّ العصور إلى عصرنا هذا إلى أن يرث الله الأرث وما عليها ، فأعرض عن الآيات الداعية إلى التوحيد المحذِّرة من الشرك ، وضرب بها عُرْض الحائط ، وتغافل عما نهت عنه السنّةُ من ضروب الشرك وألوانه ، وبذلك يكون قد سلك مسلكاً وعراً ، وشق طريقاً شططاً ، وقال قولاً إدّاً ، تكاد تنشقّ الأرض منه وتخرُّ له الجبال هدّاً ، فليتق الله كاتب المقال ، وليتب إلى ربه توبةً نصوحاً ، فإن حب النبي ﷺ لا يلزم منه الغلوّ فيه غلوَّ اليهود في العُزير ، وغلوّ النصارى في المسيح ابن مريم عليه السلام ، وقد حذَّرَ النبي ﷺ من اتباع سننهم ، فقال ﷺ : « لتَتّبعُنَّ سننَ الذين مِنْ قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ حتى لو دخلوا

جُحرَ ضَبٍّ لتبعْتُموهُم » . قالوا : اليهود والنصارى؟ قال : « فمن الناس »[1]؟

فما قاله الكاتب هو الشرك بعينه ، شرك الربوبية وشرك الألوهية [العبادة] ؛ أما الشرك الأول : فقد برئ منه مشركوا مكة ومعهم إبليس ، وأما الشرك الثاني : فقد تلبّس فيه ـ وللأسف الشديد ـ جماهير من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ـ إلا من رحم الله ـ وقد ظهر لي أن المقال قد كتبه الأستاذ زعيتر من نحو ربع قرن من الزمان ؛ لكن ذلك لا يعفينا من الردِّ عليه ، غيرةً على عقيدتنا وديننا ، فهل أدرك الأستاذ خطأه بعد ذلك فأقلعَ عن شركياته ، وأعلن رجوعَه عن غلوِّه ، وبيَّنَ ذلك على الملأ كما نشرَ مقاله على الملأ ، فإن الرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل ، وهذا ما نأمله ونرجوه من الأستاذ زعيتر صاحب المقال . ولكن للأسف يبدو أن الأمر خلاف ذلك ، إذ لو رجع عمّا كتب قديماً ، ما أذن بنشره حديثاً في مجلة إسلامية دوريّة رسمية ، ولم نسمع أنه كتبَ شيئاً يوحي برجوعه عن عباراته الشركية ، وغلوِّه المشين .

لكنَّ الفرصة ما زالت مواتية وسانحة للعودة إلى الحق والندم

---

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، من حديث أبي سعيد الخدري ، كما في « صحيح الجامع » رقم (٤٩٣٩) .

عمّا فات والاستغفار من زلة القلـم وهفـوة اللسـان[1] ؛ لأن الشـرك أمرُه خطير، ووبالُه وخيمٌ، يعمل في الأمم والشعوب عمل النـار في الهشيم وأشدَّ من ذلـك ، ومـا قلتُـه في ردّي علـى صـاحب المقـال زعيتر ما هو إلاّ ذبٌّ عن التوحيد ، وعن نبيّ التوحيد الذي تبرأ مـن الشرك وحاربـه حتـى آخر نفـس مـن حياتـه المباركـة ﷺ ، فجـرّدَ التوحيد وترك الأمّة على بيضاء نقية وسُبُلٍ سويّة . فالحمد الله رب البريّة .

(١) وذلك قبل الغرغرة ، وقبل طلوع الشمس من مغربها ، ولا نعرف الحال الذي لقي الكاتب عليه ربه ، نسأل الله لنا وله العافية .

(١٣)

هل جهلَ الدكتور السباعي رحمه الله التوحيد والشرك ؟!

وإن تعجب أخي القارئ فعجبٌ ثناءُ الداعية مصطفى السباعي رحمه الله على المقال وصاحبه ، حيث قال ـ تعقيباً على كلمة الأستاذ زعيتر ـ : « الذين يعرفون الأستاذ أكرم زعيتر عن كثب من شباب هذا الجيل قد لا يعلمون عنه الكثير ، أما أصدقاؤه وعامة الجيل الذي زامله في حياته وجهاده فيعلمون فيه إلى جانب هذا ماضي الجهاد العظيم، وروح الإيمان القويم ، وجذوة البيان المشرق، وهذه الكلمة التي كتبها فور خروجه من المسجد النبوي الشريف ، مندفعاً بفيضٍ من وجدانه الثائر المؤمن ، وهي تمثل حقيقة ما يتصف به من عمق في الإيمان ، وإخلاص في الجهاد، وإبداع في البيان » .

قلت : فإذا كان الدكتور السّباعي رحمه الله قد قرأ مقال الكاتب، ومرّت عليه عبارات الكاتب الشركيّة مثل قوله: « وظل سيدي محمدٌ يؤنس ضميري وينوّر فؤادي »، وقوله : « إنني خُلقتُ خَلْقاً جديداً ، لقد صاغني ربي من نور » ، وقوله : « وأشرق وجهي بنور الرسول الظافر » ، وقوله : « هذا هو حقُّ العين حين تكتحل بمرقدك يا رسول الله »، وقوله: « إنها كهربائية الرسول

الأعظم »، وقوله : « حتى أشرقت نفسي بنورمحمديّ » ، وأخيراً قوله : « جئت أبدد ظلمات نفسي بنورك ... ونورك من نور الله » .

ترى بعد كل هذه العبارات الشركية هل يحلُّ للدكتور رحمه الله أن يقول ما قاله مادحاً الكاتب مشيداً بماضي الجهاد العظيم في حياته ، وروح الإيمان القويم ، وجذوة البيان المشرق ، ثمَّ يبالغ في مدحه رحمه الله فيقول : « وهذه الكلمة التي كتبها [يعني كلمة الأستاذ زعيتر ـ الشركية ـ] فور خروجه من المسجد النبوي مندفعاً بفيض من وجدانه الثائر المؤمن ، وهي تمثّل حقيقة ما يتصف به من عمق الإيمان ، وإخلاص في الجهاد ، وإبداع في البيان » .

ترى هل جهل الدكتور رحمه الله حقيقة التوحيد والشرك عندما وصف الكاتب بما وصف مثنياً على مقاله الشركي .

ألم يسمع قول الله تعالى مخاطباً نبيه ، والخطاب عامٌّ لأمة النبي ﷺ جميعاً : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥ - ٦٦] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨]

وقوله عليه السلام: « من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار »[1].

لا نجدُ عذراً للدكتور رحمه الله إلا أن نقول : إما أن يكون الحامل على ذلك الجهل بحقيقة التوحيد ، وإما المجاملة التي تُعْمِي وتُصِمُّ . لكنه دين الحزبيين والحركيين الذي لا يقيم وزناً للولاء والبراء ما دام الرجل حزبياً أو موالياً للحزبية، ما دام أنه أحد الشركاء ، ولقد عانت أمتنا الكثير الكثير من هذه الولاءات الباطلة والمجاملات الفاسدة على حساب الدين ، ولو كان من نجامله شيعياً أو صوفياً أو بدعيّاً . وفي المقابل ترى هؤلاء الحزبيين من ألد خصوم الدعوة السلفية وعلمائها ، يكيلون لأصحابها التهم ، فضلاً عن مجاملتهم وهم أحق بالمجاملة من أهل البدع .

ثم أين هي غيرة الدكتور رحمه الله على التوحيد الذي هو أصل الأصول ، فما من نبي إلا كان همّهُ وشغلُه دعوة الناس إلى توحيد الله ، فالأنبياء جميعاً دَعَوْا إلى توحيد الله فقالوا لأقوامهم: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ٥٩] ، وأوحى الله إلى أنبيائه ليدعوا إلى توحيد الله فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

---

(١) رواه البخاري .

فأيُّ علمٍ هذا الذي لم يهدِ صاحبه لمعرفة التوحيد من الشرك، وأيُّ شهاداتٍ هذه تلكم التي تغفل المرءَ عن شرعِهِ ودينِهِ، وأي دعوة أو جماعة أو حزبٍ لم يقم على أساس التوحيد - الذي هو الركن العظيم - فهي دعوة مهزوزة هزيلة لا أساس لها، سرعان ما يخرُّ السقف على رؤوس أربابها من فوقهم، فمن اشتغل بالسقف قبل توطيد دعائم الأساس خرَّ عليه السّقف من حيث لا يحتسب، وكان حالُهُ كمن ينفخ في رمادٍ، أو يصيحُ في وادٍ، أو كمن يركضُ خلف السَّراب، فالداعية الناجح الموفق هو الذي يترسّم خطا النبي ﷺ فيبدأ بما بدأ به ﷺ جاعلاً توحيد الله شغله الشاغل في حلّه وترحاله.

غفر الله لنا وللدكتور السباعي رحمه الله وللكاتب.

وإنني لا أشك في جلالة وفضل السباعي، خصوصاً في مجال الدعوة إلى الله[1]؛ لكنني إنّما قلت الذي قلته كي لا يحسن القارئ الظنَّ بتزكية السباعي ومدحه وثنائه على ما ورد في مقال الأستاذ زعيتر من شركيات.

---

(١) والدعوة ينبغي أن تكون على بصيرة وعلم، أساسها التوحيد والاتباع، لا الشرك والابتداع، والعالم الحق هو الذي تقوم دعوته على التوحيد والسنّة واتباع السلف الصالح، وإلا فلا هو في العير ولا في النفير مهما ذاع صيته وعلا شأنه.

فالواجب علينا جميعاً أن ننكر المنكر عملاً بقوله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[1].

فلا ينبغي للمسلم فضلاً عن الداعي إلى الله أن يبرر للآخرين أخطاءهم ومنكراتهم فضلاً عن شركيّاتهم ، وهذا ما نشكو منه وللأسف الشديد من كثير من الدعاة الإسلاميين حيث يجاملون على حساب دينهم وعقيدتهم ، وتلكم الطامة الكبرى ، فإنَّ الحق أحقُّ أن يُتَّبَع ، فإن « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .

فكيف إذا زيّنَ الباطل وأيّدهُ وكال له المدح والثناء ، وأضْفَى عليه الشرعيّة ، وألبسه لباس زور باسم الحق والجهاد وعظيم الإيمان ، والذي نفسي بيده إنها لإحدى الكُبَر[2] .

---

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي ، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، من حديث أبي سعيد الخدري . وانظر : « صحيح الجامع » رقم (٦٢٥٠) .

(٢) قلت : ثمّ وقفت على أبيات شركيّة للدكتور السباعي يناجي فيها الرسول ﷺ ، فعرفت سبب تساهله وثنائه على مقال الأستاذ زعيتر ، وأنهما من مدرسة واحدة وتلاميذ شيخ واحد، فقال غفر الله لنا وله :

يا سيدي يا حبيب الله جئتُ إلى	أعتاب بابك أشكو البرحَ من سَقمي
يا سيدي قد تمادى السقم في جسدي	من شدة السقمِ لم أغفل ولم أنمِ
الأهلُ حولي غرقى في رقادِهمُ	أنا الوحيد الذي جفاهُ النومُ من ألم
قد عشت دهراً مديداً كلّهُ عملٌ	واليوم لا شيءَ غيرُ القول والقلم

وانظر : « وقفات » (ص٢١) للعجمي .

(١٤)

كثير من كبار الدعاة والكتّاب والمشايخ يجهلون حقيقة التوحيد والشرك

يغترُّ كثيرٌ من الناس بكثير من المشايخ إذا ما أفتوا بجواز التوسل بالأموات والاستشفاع بهم ، وندائهم والاستعانة بهم ، ويَحْسَبُ هؤلاء أن العبرة في الدين بالشهادات العالية والألقاب الرنانة ، أو بالزعامات الحزبية الفارغة ، فيحسنون الظنَّ إلى أبعد الحدود ، إلى حدود اعتقاد العصمة بهم ، وربّما غرَّهم عِظَمُ ضخامة عمامته ، واتساعُ جُبَّتِهِ ، فينظرون إليه وكأنَّه عالم الثقلين ، وما عَلِمَ هؤلاء أن ديننا يعلو ولا يُعلى عليه ، وأن الحق أبلج والباطل لجلج ، وأن على الحقِّ نوراً يتلألأ ، وأنَّ الحقَّ لا يُعرف بالرجال ، وإنما بمعرفة الحق يُعرفُ أهله .

فما وافق الكتاب والسنة وهديَ السلف الصالح رضي الله عنهم فهو الحق الذي لا يجوز تعديه ، أو مخالفته خصوصاً ما أجمعت عليه الأمة ؛ لأن العقيدة أمرٌ لا يقبل الخلاف ؛ إذ الحق فيه لا يتعدد ولا يتنوع : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس : ٣٢].

﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [القصص : ٨٥] .

ومعلوم شرعاً أن العالم مهما علا وسما ـ إذا خالف قولُه الكتاب والسنّة ـ لم يلتفت إليه ، ولله درُّ الإمام مالك رحمه الله حيث قال : كلُّ رجل يؤخذُ من قوله ويُردُّ عليه إلا صاحب هذا القبر[1] . ـ يقصد رسول الله ﷺ ـ .

فالواجب ردُّ قول العالم إذا خالف الكتاب والسنة في قضيّة فقهية ، فكيف إذا خالف عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد رأيت كثيراً ممن يُشار إليهم بالبنان في العلم نهجوا منهج بعض الفِرَق الضالّة في الأسماء والصفات ، فأعملوا فيها معول التأويل بِلْهَ التعطيل ، فتأثروا بالمعتزلة والأشعرية والماتريدية ، وغيرهم من الفرق الضالة التي خالفت أهل السنة والجماعة في « الفقه الأكبر » أعني التوحيد .

وأذكر للقارئ الكريم حكاية حدثت لي تدلُّ على جهل بعض كبار العلماء بالتوحيد :

ذهبت أنا وصديقٌ لي إلى جامعة كبيرة في الهند خلال زيارتنا للهند عام (١٣٩٥هـ) واسم الجامعة الدينيّة هذه « دار العلوم ديوبند » . فقلت لصديقي : هيَّا بنا ننظرُ إلى الشجرة التي كان

---

(١) أخرجه شيخنا الألباني في « صفة صلاة النبي » (ص٢٨) وعزاه لابن عبد البر في « الجامع » (٢/٩١)، وابن حزم في « أصول الأحكام » (٦/١٥٤، ١٧٩) وغيرهما.

يُدرِّس تحتها الشيخ « محمد قاسم النانوتي » مؤسس الجامعة ، فلمّا وصلنا إلى الشجرة رأينا رجالاً يقطفون من ورقها ويضعون في أكياس معهم ، فقلنا لهم : ما الذي تصنعون ؟ قالوا : نتبرك بهذه الشجرة ونستشفي بها .

قلنا لهم : هذا لا يجوز ، بل هذا شرك ، وذكّرناهم بـ « ذات أنواط »[١] ، وشجرة الرِّضوان التي قطعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه خشية أن تتخذ وثناً يُعبد من دون الله ، فلم يستجيبوا لنا ، وعلمنا منهم أنهم من خرِّيجي هذه الجامعة الدينية الكبرى .

وبعد ذلك قلنا هذا أمرٌ لا ينبغي السكوت عنه ، لا بدَّ أن نرفع الأمر لمفتي الجامعة الأعظم ، فذهبنا إليه فاحترمنا جزاه الله خيراً ، ولكن للأسف الشديد لّما كلّمناه في الأمر لم يرفع بذلك رأساً ، وأجابنا ـ وكان جوابه فاجعةً لنا ـ فقال : يجوز ذلك . فقلت لصديقي : هيا بنا وقد كنا قبل ذلك راغبين في التزوّد من علمه والاستفادة منه ، فزهدنا فيه بعد ذلك .

قلت : فهذا مثالٌ من مئات الأمثلة تدل على تساهل كثير من المشايخ[٢] والعلماء وأصحاب الشهادات العالية في مسألة من أخطر

---

(١) رواه الترمذي وصححه .

(٢) ومثل ذلك ما يحصل في مسجد سيدهم الحسين المزعوم على مرأى ومسمع كثير من مشايخ الأزهر .

المسائل وأهمّها وهي مسألة العقيدة وما يلزمها من معرفة التوحيد من الشرك .

إذاً فالحق لا يُعرف بكثرة الأصابع المرفوعة ، وإنما يُعرف بالعلم النافع القائم على المنهج الصحيح كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلف هذه الأمة رضي الله عنهم ، فهم الترجمان العمليّ لهذا الدين ، والناس خلفهم تبعٌ إلى يوم القيامة ، فهل من مدّكِر !!

(١٥)

خاتمة نسأل الله حسنها

إنَّ القضية التي تعرَّضَ لها الكاتب غفرَ الله له من أخطر القضايا ـ التي لا يزال العلماء الربّانيّون يعانون ممن أشرك فيها ـ لأنها تمسُّ جانب العقيدة السنية ، بل تخالف أصل الأصول ، والمحور الذي يقوم عليه الدين ، قال عليه الصلاة والسلام : « لقد تركتكم على بيضاء نقية » [(١)] .

وما قلتُهُ في ردّي على مقال الأستاذ زعيتر ، إنما هو لتبيان الحق وغيرةً على عقيدة المسلمين ، ولا يظنن ظانٌّ أن ما قلته نابعٌ عن عصبية أو حزبية ـ فإنني ولله الحمد من أعداء الحزبية المقيتة ـ التي فرَّقت جمع الأمة ، وجعلتها شيعاً وأحزاباً ، فأدّت إلى تنازعها عندما خالفت النهي الربّاني الكريم بقوله : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

ومسألة العقيدة والتوحيد والإيمان من أولويات المسائل التي ينبغي للكتّاب والدعاة والعلماء أن يهتمّوا بها ويُجنّدوا طاقاتهم

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث العرباض بن سارية ، كما في « صحيح الجامع » رقم (٤٢٤٥) .

لخدمتها ، وتحذير الناس من الشرك كلّه ظاهره وباطنه ، جليِّهِ وخَفِيِّهِ .

ولمّا كان قول الحق واتباع العقيدة الصحيحة أحبَّ إلينا من أنفسنا وأهلينا ، كان لزاماً علينا أن نذبَّ عنها كلَّ ما يمسُّها بسوء ، ويهددها مهما كان المردود عليه في الفضل والعلم نُصحاً للأمة ، وحمايةً لهذه العقيدة التي هي أصل الدين وأساسُهُ ، وبمقدار أهميَّة الأمر المعتدى عليه يكون الردُّ حاسماً لا هوادة فيه . قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين

وكتب « **أبو أنس** »

محمد بن موسى آل نصر

ثبت المراجع

١) **مصرع الشرك والخرافة** ، خالد محمد علي الحاج ، إدارة الشؤون الدينية / قطر .

٢) **مؤلفات سعيد حوى** ، سليم الهلالي / عمان .

٣) **تذكرة دعاة الإسلام** ، البهي الخولي ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية .

٤) **الجامع لأحكام القرآن** ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .

٥) **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد** ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .

٦) **الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة** ، عبد العزيز بن باز ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد .

٧) **الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة** ، سليم الهلالي .

٨) **الجهاد في سبيل الله** ، أبو الأعلى المودودي ، مؤسسة الرسالة .

٩) **مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد** ، محمد بن عبد الوهاب ، مؤسسة النور للطباعة والتجليد .

١٠) **الفوائد المرقومة في الردّ على محمد المصري في حكايته المزعومة**، محمد موسى نصر .
١١) **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد** ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ
١٢) **إقامة البراهين** ، عبد العزيز بن باز ، إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
١٣) **أصول السنة لرد البدعة** ، محمد طاهر ، مركزي جماعة إشاعة التوحيد والسنة .
١٤) **تمام الكلام في بدعيّة المصافحة بعد السلام** ، محمد موسى نصر .
١٥) **منهاج الفرق الناجية** ، محمد بن جميل زينو ، دار الثقافة للطباعة .
١٦) **الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة** ، عبد الرحمن الدوسري ، مكتبة دار الأرقم .
١٧) **مجلة هدي الإسلام** ، صادرة عن وزارة الأوقاف الأردنية.
١٨) **البريلوية** ، إحسان إلهى ظهير ، إدارة ترجمان السنة .

فهرس الكتاب